@ 182 @ فقد افترى إثما عظيما) ^ أي : افترى جرما كبيرا . وأي ظلم أعظم ممن سوى المخلوق من تراب ، الناقص من جميع الوجوه ، الفقير بذاته من كل وجه . الذي لا يملك لنفسه فضلا عمن عبده نفعا ولا ضرا ، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا بالخالق لكل شيء الكامل من جميع الوجوه ، الغني بذاته ، عن جميع مخلوقاته ، الذي بيده النفع والضر ، والعطاء والمنع ، الذي ما من نعمة بالمخلوقين ، إلا منه تعالى . فهل أعظم من هذا الظلم شيء ؟ ولهذا حتم على صاحبه بالخلود بالعذاب وحرمان الثواب ^ (إنه من يشرك با فقد حرم ا عليه الجنة ومأواه النار) ^ . وهذه الآية الكريمة في حق غير التائب . وأما التائب ، فإنه يغفر له الشرك فما دونه ، كما قال تعالى : ^ (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة ا إن ا يغفر الذنوب جميعا) ^ أي : لمن تاب إليه ، وأناب . ^ (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل ا يزكي من يشآء ولا يظلمون فتيلا * انظر كيف يفترون على ا الكذب وكفى به إثما مبينا) ^ هذا تعجب من ا لعباده ، وتوبيخ للذين يزكون أنفسهم ، من اليهود والنصارى ، ومن نحا نحوهم ، من كل من زكى نفسه ، بأمر ليس فيه . وذلك أن اليهود والنصارى يقولون : ^ (نحن أبناء ا وأحباؤه) ! 2 2 ! (لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى) ^ وهذا مجرد دعوى ، لا برهان عليها . وإنما البرهان ، ما أخبر به في القرآن في قوله : ^ (بلى من أسلم وجهه وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ^ . فهؤلاء هم الذين زكاهم ا ، ولهذا قال هنا : ^ (بل ا يزكي من يشاء) ^ أي : بالإيمان والعمل الصالح ، بالتخلي عن الأخلاق الرذيلة ، والتحلي بالصفات الجميلة . وأما هؤلاء ، فهم وإن زكوا أنفسهم بزعمهم ، أنهم على شيء ، وأن الثواب لهم وحدهم فإنهم كذبة في ذلك ، ليس لهم من خصال الزاكين نصيب ، بسبب ظلمهم وكفرهم ، لا بظلم من ا لهم ، ولهذا قال : ^ (ولا يظلمون فتيلا) ^ . وهذا لتحقيق العموم ، أي : لا يظلمون شيئا ، ولا مقدار الفتيل الذي في شق النواة ، أو الذي يفتل من وسخ اليد وغيرها . قال تعالى : ^ (انظر كيف يفترون على ا الكذب) ^ أي : بتزكيتهم أنفسهم ، لأن هذا من أعظم الافتراء على ا . لأن مضمون تزكيتهم لأنفسهم ، الإخبار بأن ا جعل ما هم عليه حقا ، وما عليه المؤمنون المسلمون باطلا . وهذا أعظم الكذب ، وقلب الحقائق ، بجعل الحق باطلا ، والباطل حقا . ولهذا قال : ^ (وكفى به إثما مبينا) ^ أي : ظاهرا بينا ، موجبا للعقوبة البليغة ، والعذاب الأليم . ^ (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا * أول ئك الذين

لعنهم ا ومن يلعن ا فلن تجد له نصيرا * أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا * أم يحسدون الناس على مآ آتاهم ا من فضله فقد آتينآ آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما * فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا * إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن ا كان عزيزا حكيما * والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيهآ أبدا لهم فيهآ أزواج مطهرة وندخلهم ظ لا ظليلا) ^ وهذا من قبائح اليهود ، وحسدهم للنبي صلى ا عليه وسلم والمؤمنين ، أن أخلاقهم الرذيلة ، وطبعهم الخبيث ، حملهم على ترك الإيمان با ورسوله والتعوض عنه بالإيمان بالجبت والطاغوت ، وهو الإيمان بكل عبادة لغير ا ، أو حكم بغير شرع ا . فدخل في ذلك ، السحر والكهانة ، وعبادة غير ا ، وطاعة الشيطان ، كل هذا من الجبت والطاغوت . وكذلك حملهم الكفر والحسد ، على أن فضلوا طريقة الكافرين با ، عبدة الأصنام ، على طريق المؤمنين فقال : ^ (ويقولون للذين كفروا) ^ أي : لأجلهم ، تملقا لهم ومداهنة ، وبغضا للإيمان : ^ (هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا) ^ أي : طريقا . فما أسمجهم ، وأشد عنادهم ، وأقل عقولهم وكيف سلكوا هذا المسلك الوخيم ، والوادي الذميم ؟ هل ظنوا أن هذا ، يروج على أحد من العقلاء ، أو يدخل عقل أحد من الجهلاء . فهل يفضل دين ، قام على عبادة الأصنام والأوثان ، واستقام على تحريم الطيبات ، وإباحة الخبائث ، وإحلال كثير من المحرمات ، وإقامة الظلم بين الخلق ، وتسوية الخالق بالمخلوقين ، والكفر با ، ورسله ، وكتبه ، على دين قام على عبادة الرحمن ، والإخلاص ، في السر والإعلان والكفر بما يعبد من دونه ، من الأوثان ، والأنداد ، والكاذبين ، وعلى صلة الأرحام ، والإحسان ، إلى جميع الخلق ، حتى البهائم ، وإقامة العدل والقسط بين الناس ، وتحريم كل خبيث وظلم ، ومصدق في جميع الأقوال والأعمال فهل هذا إلا من الهذيان . وصاحب هذا القول ، إما من أجهل الناس ، وأضعفهم عقلا ، وإما من أعظمهم عنادا وتمردا ، ومراغمة للحق .